

التبيان في تفسير القرآن

(518) والسلامة. و (السيئة) النعمة من الجذب وضيق الرزق والمرض والبلاء، وفيه ضرب من المجاز، لان حقيقة الحسنة ما حسن من الفعل في العقل، والسيئة ما قبح من الفعل، وإنما شبه هذا بذلك، لتقبل العقل لهذا كتقبل الطبع لذلك. وقال قوم: هو مشترك لظهور العلم في ذلك في الناس جميعا على منزلة سواء. أخبرنا تعالى عن قوم فرعون أنه إذا جاءهم الخصب والسعة والنعمة من الله قالوا لنا هذه " والمعنى إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا في بلادنا، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروه عليه ويؤدوا حق النعمة، لئلا يسلبهم الله إياها. وقوله " وإن تصبهم سيئة " يعني جذب وقحط وبلاء " يطيروا بموسى ومن معه " والمعنى إنهم تشاءموا بهم، وهو قول الحسن ومجاهد، وابن زيد، لان العرب كانت تزجر الطير، فتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين، قال الشاعر: زجرت لها طير الشمال فإن يكن * هواك الذي يهوى يصبك اجتنابها (1) وقال آخر: فقلت غراب لا اغتراب من النوى * وبان لبين ذي العيافة والزجر وأصل الطائر النصب، يقال: طار له من القسم كذا وكذا، وأنشد ابن الاعرابي: واني لست منك ولست مني * اذا ما طار من مالي الثمين أي أخذت الزوجة ثمنها من ميراثه. وقوله تعالى " ألا إنما طائرهم عندنا " معناه إن الله هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم، من الخير والشر والنفع والضر، فلو عقلوا طلبوا الخير من جهته، والسلامة من الشر من قبله.

(1) اللسان (طير) وروايته (لهم) بدل (لها).